مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م
الجزء الثالث - المجلد الثاني والخمسون

الزراعة والري في كورة[1] الانبار في العصور الاسلامية

الاستاذ الدكتور
حمدان عبد المجيد الكبيسي
كلية الاداب / جامعة بغداد

الملخص :

شكلت الزراعة والانتاج الزراعي جانبا حيوياً من جوانب الحياة الاقتصادية في الدولة الاسلامية ، لانها رفدت بيت المال بموارد مالية كبيرة ومستمرة ، ولان عددا كبيرا من المواطنين إعتمدوا في حياتهم المعاشية على الزراعة والانتاج الزراعي .

وتوجد في منطقة الانبار أراضي زراعية واسعة وخصبة ، يخترقها نهر الفرات ، كما إن نهر عيسى يروي مساحات واسعة من أراضي منطقة الانبار ، فضلا عن إن مياه الامطار تسقي مساحات أُخر . وفي ضوء ذلك إزداد النشاط الزراعي في كورة الانبار في العصور الاسلامية .

---

[1] الكورة هي المصر في كلام العرب ، والكورة عادة تقام فيها الحدود ، ويقسم فيها الفيء والصدقات . والكورة هنا مدينة لها معنى اداري ومالي يراد به المصر . (ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كورة) . ويقول (ياقوت ، البلدان ، ج١ ، ص٣٩) : ان لفظة كورة اجنبية استعارتها العرب وجعلتها اسماً للاستان . والكورة صقع يشتمل على عدة قرى . ولابد لتلك القرى من قصبة ، او مدينة ، او نهر يجمع اسمها ، فتقول : كورة البصرة ، وكورة الكوفة ، وكورة الانبار ، وكورة نهر الملك .. الخ وهي نظير الابناذ في بلاد الشام ، والمخاليف عند اهل اليمن ، والطسايسح عند اهل الاحواز ، والرساتيق عند اهل الجبل . (ينظر : ياقوت ، البلدان ، ج١ ، ص٣٩ و ج٤ ، ص٧٤٩ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٤٧) .

تمهيد :

شكلت الزراعة والانتاج الزراعي جانباً حيوياً من جوانب الحياة الاقتصادية ، لانها رفدت بيت المال بموارد مالية كبيرة ومستمرة ، و ، عدداً كبيراً من المواطنين اعتمد في حياته المعاشية بشكل مباشراً وغير مباشر على الزراعة والانتاج الزراعي .[٢]

ملكية الاراض الزراعية :

من المؤكد أن حيازة ملكية الاراضي الزراعية ذات اهمية كبرى من زاوية الانتاج والادارة والتوزيع لانها تؤثر في دوافع الانتاج والاساليب الفنية في الزراعة ، كما تؤثر في انماط الملكية والحيازة . وكان المسؤولون في الدولة قد حسموا منذ وقت مبكر مسألة ملكية الاراضي الزراعية التي انضوت تحت لواء الدولة عنوة وحرباً ، بحيث عدوا رقبة ملكية هذا النوع من الاراضي ضمن مصطلح الملكية العامة التي يجب عدم التفريط بها[٣] ، او جعل الاستفادة منها مقتصرة على فئة محدودة من الناس . وانما هي فيء يشترك به جميع المسلمين[٤] وبذلك لم يتم توزيع اربعة اخماسها على الجند الذين اسهموا في

---

[٢] ابو يوسف ، الخراج ، ص١١٤ . ابن زنجوية ، الاموال ، ج١ ، ص٢١٣ . اليعقوبي تاريخ ، ج٢ ، ص١٤١ و ٢٢١ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٧٥ .

[٣] ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٥ . ابن آدم ، الخراج ، ص٢٧ و ٤٨ . ابو عبيد ، الاموال ، ص٥٨ .

[٤] ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٥ . ابن آدم ، الخراج ، ص٤٨ .

تحريرها ، على اساس انها جزء من الغنيمة .[٥]

وهنا يتضح ان موقف اصحاب الاراضي الزراعية ، في الانبار وغيرهم من اقاليم الدولة العربية الاسلامية هو الذي حدد طبيعة ملكية الاراضي . فالاراضي التي انضوت تحت لواء الدولة بمجهود قتالي اصبحت ضمن مصطلح الملكية العامة ، إذ ظل زرّاعها السابقون يستثمرونها ويؤدون عنها ضريبة الخراج . فموقعهم والحال هذه موقع المزارع المنتفع من انتاج هذه الارض لاغير.[٦] في حين تصبح ملكية الاراضي التي ينضوي اهلها تحت لواء الدولة سلماً ، ملكية حيازة وانتفاع ، اذ يصبح هؤلاء يمتلكون رقبة ملكية الارض ، ولا تقع عليهم تبعات مالية للدولة عدا زكاة انتاجهم الزراعي منها عندما يبلغ النصاب .[٧]

واحسب ان بعض اراضي كورة الانبار الزراعية خضع للدولة العربية الاسلامية عنوة وحرباً ، وبذلك اصبحت ملكيتها للامة ، اذ اورد (خليفة بن خياط) رواية مقتضبة رفعها الى الشعبي مؤداها ان اهل

---

[٥] ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٤ و ١٤٠. ابن آدم ، الخراج ، ص٢٧. ابو عبيد ، الاموال ص٨٣ . ابن زنجويه ، الاموال ، ج١ ، ص١٩٤ . قدامة ، الخراج ، ص٣٦٢ .

[٦] ابن آدم ، الخراج ، ص٤٨ . قدامة ، الخراج ، ص٣٦٢ .

[٧] ابو يوسف ، الخراج ، ص ص٥١ ـ ٥٢ و ٥٦ و ٧٠ . ابن آدم ، الخراج ، ص١١٣ و ١١٦ . ابن زنجويه ، الاموال ، ج٣ ، ص٣٩ ، الشافعي ، الام ، ج٢ ، ص٣٠ .

مدينة الانبار صالحوا القائد خالد بن الوليد على مبلغ من المال يؤدونه عن رؤوسهم وارضهم ، وذلك في اواخر سنة ١٢هـ/٦٣٣م. [٨]

واذا اخذنا برواية الشعبي التي أوردها (أبو يوسف) و(ابن آدم)، والتي مفادها : انه لم يكن لاهل العراق عهد الا الحيرة ، وعين التمر ، واهل أليس[٩] وباقيا[١٠] . اذن نستطيع ان نجزم ان الاراضي الزراعية المحيطة بمدينة الانبار تقع ضمن مصطلح الاراضي الخراجية التي جعلت ملكيتها للامة ، وان مستثمريها لهم حق الانتفاع فقط ، دون حيازتها[١١]. ومما يعزز هذه الفرضية ويؤكدها ان (الطبري) قال : ان القائد خالد بن الوليد خرج من الحيرة في تعبئته وقصد الانبار وحاصرها وضيق عليها الحصار ، ورفض العرض الذي قدمه قائد الجيش الفارسي (شيرزاذ) ، واصر على شروط وضعها هو بنفسه ، وخاض قتالا مريراً مع اعدائه حيث طَمَر أضيق مكان في الخندق الذي كان يحيط بمدينة الانبار ، بجثث الابل الهزيلة التي أمر بنحرها والقائها في الخندق ، ثم اقتحم الخندق من فوق جثث الابل التي نُحرت الامر الذي اضطر قائد الجيش الساساني الى ان ينزل الى شروط القائد خالد

---

[٨] ابن خياط ، تاريخ ، ج١ ، ص٨٥ .

[٩] أليس : قرية عراقية تابعة للانبار متاخمة للبادية . (ينظر : الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص٤٧٣) . وياقوت البلدان ، ج١ ، ص٣٢٨) .

[١٠] باقيا : من مدن العراق الغربية . (ينظر : ياقوت ، البلدان ، ج١ ، ص٣٣١) .

[١١] ينظر : ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٨ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ .

بن الوليد يقبل بها مرغما[١٢]. والذي يعنينا من هذا الامـــر ونريـد أن نؤكده أن مدينة الانبار وما حولها خضعت للجيش الاسلامي بعد مجهود قتالي شديد الوطأة على الطرفين ، وان اهلـــها قبلـوا بـأن يستمروا باستثمار أراضيهم الزراعية على ان يدفعوا ضريبة الخراج عنـــها ، وصاروا ذمة .[١٣]

وتشير النصوص الى أن (حصيد)[١٤] خضعت للقائد القعقـاع بن عمرو التميمي عنوة وحربـــا ،[١٥] وان جيـش المسـلمين دخـل (الخنافس)[١٦] بسهولة ، إذ انهزم جيش العدو منها بمجـرد سـماعه بتقدم الجيش الاسلامي الذي كان يقوده (ابو ليلى بـــن فَدكـيّ)[١٧] ، وخضعت (الرُضاب) للقائد خالد بن الوليد بعد أن إنهزم الجيش الـذي

---

[١٢] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤ و ٣٨٥. ابن الاثير ، الكامل ج٢ ، ص٢٦٩ .

[١٣] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٧٥ . ابـــن الاثـير ، الكـامل ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

[١٤] حصيد : موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة . (ينظـــر : يـاقوت ، البلدان ، ج٢ ، ص٢٦٦ .

[١٥] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٨٠ . ابن الاثير ، الكـامل ، ج٢ ، ص ص٢٧١ ــ ٢٧٢

[١٦] الخنافس : ارض للعرب في اطراف العراق قرب الانبار . (ينظر يـاقوت ، البلدان ، ج٢ ، ص٣٩١) .

[١٧] الطبري : تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٨٠ . ابـن الاثـير ، الكـامل ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

كان يقاوم بها[١٨] . وخضعت (الفراض) لجيش المسلمين الذي كان يقوده خالد بن الوليد بعد مجهود قتالي شديد [١٩] .وذكر (الطبري) أن أهل هيت استجابوا لقائد جيش المسلمين الحارث بن يزيد العامري[٢٠] . وبذلك تكون كورة الانبار قد انضوت تحت لواء الدولة العربية الاسلامية عنوة وحرباً الامر الذي جعل رقبة ملكية اراضيها الزراعية للامة ، على وفق النهج الذي سارت عليه الدولة .

ومع ذلك توجد أماكن أُخر من كورة الانبار دخلت حضيرة الدولة على وفق مصطلح (الصلح) الذي نص فيه عقد الصلح على أن ملكية رقبة الاراضي الزراعية للمسلمين (للامة) كما نص على مقدار معين من المال جزية على رؤوس الذميين ، ووضع مقدارا آخر من المال خراجا على أرضهم التي تسمح لهم ان يستمروا باستثمارها . وقال الفقهاء : إن أصحاب هذا النوع من الاراضي تنازلوا عن ملكيتها للمسلمين بموجب عقد الصلح . وبذلك فهم لا يملكون رقبتها ، ولكن لهم الافضلية في استثمارها إن رغبوا في ذلك ، إذ هم أحق بها من غيرهم .[٢١]

---

[١٨] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٨٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٧٤ .

[١٩] الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٨٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

ينظر : ياقوت ، البلدان ، ج٤ ، ص ص٢٤٣ ــ ٢٤٤) .

[٢٠] الطبري تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٨٤ .

(ينظر : ياقوت ، البلدان ، ج٥ ، ص٤٢١) .

[٢١] الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٣٧ و ١٤٧ .

وبجانب ذلك اشارت النصوص الى وجود أراضي في كـــورة الانبار ضمت للدولة هي واهلها سلماً[٢٢] ، وبذلك أصبح هؤلاء يمتلكون رقبة أراضيهم الزراعية ، ويستثمرونها ويؤدون عشر انتاجها . وهـــو مقدار الضريبة التي فرضت عليها . وان هذا المقدار كانت له علاقـــة وطيدة ومباشرة بمواقف اهل تلـــك الاراضـــي مـــن الدولـــة العربيـــة الاسلامية ، وكيفية انضوائهم تحت لوائها .[٢٣]

ويشير (الطبري) الى أن أهل الأنبار وما حولها ما لبثـــوا أنْ نقضوا بنود الصلح التي عقدوها مع القائد خالد بن الوليد ، ما خلا أهـل البوازيج فانهم ثبتوا على عهدهم ، كما ثبت أهل بانقيا[٢٤] وأُلَيـــس[٢٥] . وذكر (الطبري) أنّ القائد سعد بن ابي وقاص كتب الى الخليفة عمـــر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائلا : (... وان جميـــع مـــن صـــالح المسلمين من أهل السواد قبلي أَلْبٌ لاهل فارس قد خفـــؤا لـــهم ، فـــهم يحاولون انفاصنا واقحامنـــا)[٢٦] . وفـــي روايـــة أخـــرى أوردهـــا (الطبري) مؤداها انه لم يف من أهل الســـواد بعـــهودهم (الا أهـــل بانقيا ، وبَسْما ، وأهل أُلَّيس)[٢٧] . وكان أهل الســـواد قـــد ادعـــوا أنّ

---

(٢٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٧٥ .

(٢٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص٦٩ .

(٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٣٧٥ . ابـــن الاثـــير ، الكـــامل ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

(٢٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٤٧٣ .

(٢٦) ن.م ، ج٣ ، ص٤٩٢ .

(٢٧) ن.م ، ج٣ ، ص٥٨٤ .

الفرس اكرهوهم وحَشروهم وأجبروهم على محاربة المسلمين[٢٨]. وكان المسلمون قد اتبعوا مبدأ اساسياً في هذا الشأن مؤداهُ أنه : من تم على عهده من أهل السواد ولم يعين لهم بشيء فلهم الذمة ، وعليهم الجزية [٢٩]. فهؤلاء صاروا ذمة ، وصارت أرضهم لهم[٣٠] . اما الذين كرهوا ذلك المبدأ فقد خول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائد الجيش أن يعد أرضهم جزءاً من الغنائم بعد أنْ تُقسم أربعة اخماسها بين الجند الذين اسهموا في الحصول عليها بعد نزول الخمس الباقي لبيت مال المسلمين[٣١] . وقد طبق هذا المبدأ على المزارعين وملاك الاراضي الزراعية من أهل السواد عامة ، وأهل الانبار خاصة .[٣٢]

تنوع المحاصيل الزراعية :

من المفيد أن نذكر أن كورة الانبار تتبعها قصبات وقرى عديدة ، نذكر منها الفلوجة[٣٣] ، وقرنجل[٣٤]. قال ابن رسته[٣٥] : إنّ

---

(٢٨) ن.م .

(٢٩) ن.م ، ج٣ ، ص٥٨٥ .

(٣٠) ن.م ، ج٣ ، ص٥٨٧ .

(٣١) ن.م ، ج٣ ، ص٥٨٦ .

(٣٢) ينظر أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٥ و ٣٥ . ابن آدم ، الخراج ، ص٤٨ . أبو عبيد ، الاموال ، ص٥٨ .

(٣٣) ينظر : ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، ج٣ ، ص٥٢ . ياقوت ، البلدان ، ج٤ ، ص٢٧٥

(٣٤) ابن الاثير ، اللباب ، ج٣ ، ص٢٩ .

(٣٥) الاعلاق النفيسة ، ص١٠٧ . (ينظر ابن حوقل ، صورة الارض ، ص١٣).

هيت وعانات داخل حدود السواد ، وتعدان من طسوج[٣٦] الانبار . وتميزت كورة الانبار بخصوبة تربتها ، ووفرة مياهها ، وملاءمة مناخها لانتاج محاصيل زراعية متنوعة ذات قيمة اقتصادية كبيرة . فضلا عن وجود الانسان الذي استطاع ان يستثمر هذه المميزات على الوجه الامثل . فحقق نهضة زراعية مشهودة ، استطاع من خلالها التأثير بشكل فاعل في الجوانب الاقتصادية والمالية للدولة العربية الاسلامية .

ومما ساعد في ازدهار النشاط الزراعي في كورة الانبار ، أن هذه المنطقة تمتلك أراضي واسعة ومنبسطة وذات خصوبة عالية ، وانها لا تحتاج الى صرف المياه كما هو الحال في بعض مناطق العراق الاخرى ، التي اقتربت مياهها الجوفية كثيراً من سطح الارض ، الامر الذي ادى الى ظهور السباخ فيها التي من شأنها التقليل من انتاجية التربة . وكان الرحالة (ابن بطوطة) قد زار كورة الانبار في مطلع عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م إذ سلك الطريق بين بغداد و (عانة) عبر الانبار وهيت وحديثة . ولدى مروره في هذه المنطقة وجدها مزروعة بعناية فائقة ، ووجد نفسه باستمرار بين بساتين مثمرة ، وحقول مزروعة وممتدة ، وبيوت مأهولة . مما دفعه الى مقارنة هذه المنطقة بالوادي الرئيس الخصيب جداً في الصين .[٣٧] وقال الاصطخري إن الاراضي المجاورة لنهر عيسى والممتدة بين بغداد

---

[٣٦] الطسوج : لفظة تعني المنطقة الزراعية ، او الارض المزروعة . (ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٤١ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٧٠) .

[٣٧] ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص٣١٤ .

والفرات كانت كثيفة الزرع لدرجة معها يصعب التمييز بين المزارع المختلفة[٣٨] . وكانت عامرة بالمدن والقرى[٣٩] . وتتمتع (بادوريا)[٤٠] بمزايا خاصة ، إذْ تجمع بين خصوبة التربة والري المنظم ، حيث تسقى من نهر عيسى وفروعه الذي يأخذ ماءه من الفرات قرب الانبار . ووصف الاصطخري في (مسالكه) بانها مدينة عامرة ، ذات نخل وزرع وشجر[٤١] . وقال عنها الادريسي : الانبار مدينة مزدحمة بالسكان ، لها اسواق عامرة ، وبساتين واسعة تزرع فيها انواع الاشجار والخضراوات .[٤٢]

وتعد الحبوب منها الحنطة والشعير في مقدمة المحاصيل الزراعية التي ازدهرت زراعتها في كورة الانبار . ذلك أنَّ الظروف المناخية والتربة ووفرة المياه كلها عوامل شاركت في ازدهار هذه المحاصيل الزراعية . فضلا عن جهد الانسان الذي كابد الطبيعة وذلل معوقاتها كي يحصل على كفايته من الغذاء[٤٣] . ومن الحبوب الاخرى التي زرعت في كورة الانبار الدخن والسمسم الذي استفاد منه السكان

---

(٣٨) المسالك والممالك ، ص٨٥ .

(٣٩) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٤٣ .

(٤٠) بادوريا : طسوج في غرب بغداد يرويه نهر عيسى وفروعه . (ينظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص٤٤ . ويقول ياقوت : هو محسوب على كورة نهر عيسى بن علي (ياقوت ، البلدان ، ج٢ ، ص٢٩ ــ ٣٠) .

(٤١) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٧٧ .

(٤٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٤٤ .

(٤٣) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٧٧ و ٨٠ و ٨٢ .
ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٤٣ .

بطرق متعددة . إذْ دخل في مجال بعض الصناعات المحلية فاستفادوا من زيته . ولا نستبعد إنتاج محاصيل زراعية حقليه أخرى على الرغم من أنَّ المصادر لاتسعفنا بذلك .

وزرعت النخيل في الانبار والقصبات والقرى التابعة لها على نطاق واسع . فكانت بساتين النخيل ممتدة على ضفاف نهر الفرات والانهار الفرعية التي ترضع منه[٤٤] . وتمتع التمر الذى تنتجه هذه النخيل بشهرة واسعة[٤٥] . وبجنب النخيل زرعت أشجار مثمرة إخرى . ولعل اهمها أشجار الرمان والتين والكروم . هذا فضلا انواع الأزهار والرياحين[٤٦] والبصل والثوم وانواع متعددة من الخضراوات الأُخرالتي تركز انتاجها صيفاً ، وهي تسد حاجة سكان المنطقة حينذاك .[٤٧]

اما الطريقة التي كان يتبعها المزارعون في استثمار اراضيهم فهي لا تختلف عما كان شائعاً ومتبعاً في مناطق العراق الأُخر ، حيث يتم الحرث بالمحراث البسيط الذي تجره الحيوانات والمعروف آنذاك ، ثم تسوى الارض وتبذر البذور في المحاصيل الحقلية . واحياناً يضاف السماد العضوي الذي يبدو أنه شائع الاستعمال[٤٨] كما أنَّ

---

(٤٤) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص٧٣ و ٧٧ .

(٤٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١٨ . الثعالبي ، لطائف المعارف ،ص١٣٢.

(٤٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٦٤ (الطبعة الاوربية) .

(٤٧) الجاحظ ، الدلائل ، ص٢٣ .

(٤٨) ابن بصال ، الفلاحة ، ص٥٥ و ٥٦ و ٥٧ . ابن حجاج الاشبيلي ، المقنع في الفلاحة ، ص٩٠.

المزارع استعمل طريقة المناوبة في زراعة المحاصيل الحقلية . إذ وجد أنها الطريقة المثلى للحفاظ على خصوبة التربة وادامة انتاجيتها .[٤٩]

وقد فطن الوزير القدير علي بن الفرات لخصوبة الاراضي الزراعية القريبة من الانبار وانتاجها الوفير ، فحاول ان يستثمر بعض اموالة في تلك الناحية ، اذ شجع الفلاحين على الانتقال الى كورة الانبار ، وقدم لهم قروضاً من أجل ترغيبهم في دعم العملية الانتاجية في مجال الزراعة والانتاج الزراعي . وقال (الصابي) إنَّ الوزير علي بن الفرات وظف أمواله في النشاط الزراعي في كورة الانبار وحصل على أرباح مجزية من خلال عمله هذا .[٥٠]

ونستطيع أنْ نتلمس أهمية كورة الأنبار الاقتصادية وكثرة انتاجها الزراعي مما رواه (الطبري) اذ قال : (انما سميت الانبار ، انبار ، لانها كانت تكون فيها انابير الطعام ، وكانت تسمى الاهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها)[٥١] . في حين ذكر (البلاذري) : أنَّ أنابير الحنطة المخزونة في مدينة الانبار لم يقتصر توزيعها على رجال كسرى حسب ، وانما نال اصحاب النعمان بن المنذر ــ صاحب الحيرة ــ نصيبهم وارزاقهم منها[٥٢] واضاف ياقوت: انها سميت مدينة الانبار بهذا الاسم لانه كان يجمع بها أنابير الحنطة

---

(٤٩) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٥٠ .

(٥٠) الصابي ، الوزراء ، ص٢٨١ .

(٥١) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص٦١١ .

(٥٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٥ .

والشعير والقت والتين . وكان الساسانيون يعطون ارزاق جندهم من انتاج المنطقة الزراعية المحيطة بمدينة الانبار .[٥٣]

وثمة دلالات أخر تظهر أهمية كورة الانبار الاقتصادية والمالية وكثرة مواردها العينية والنقدية ، إذ كانت ترفد بيت المال بموارد كبيرة ومستمرة خلال الحقب التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية . ففي هذا الشأن كان مشايخ الانبار قد حدثوا (البلاذري) : ((أنهم صولحوا في خلافة عمر (رضي الله عنه) على طسوجهم ، على اربعمائة الف درهم ، والف عباء قطوانية في كل سنة))[٥٤] . وهذه أول إشارة الى ورود مبالغ من الانبار الى بيت المال . وهذا المبلغ يبدو كبيراً اذا ما قيس بموارد مناطق اخرى من العراق للحقبة نفسها .

وحين تناول (ابن خرداذبة) موارد الاراضي الزراعية في سواد العراق والتي كانت تسقى من مياه نهر الفرات ، بدأ في طسوج الانبار التي كان واردها بعد حصاد الزرع مائتين وخمسين بيدراً[٥٥] كانت حصة بيت المال من هذه البيادر ألفين وثلثمائة كر[٥٦] من الحنطة،

---

(٥٣) ياقوت ، البلدان ، ج١ ، ص٣٦٨ .

(٥٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٥ .

(٥٥) البيادر هي اكداس الحنطة والشعير وبعض الحبوب الاخرى حين تجمع بعد حصادها وقبل تسويقها او قسمتها . (ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١١٤) .

(٥٦) الكر : مكيال بابلي الاصل . كان يساوي في العراق ٣٠ كارة ، ويساوي ٦٠ قفيزا .
(ينظر : هنتز ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص٦٩) .

والف واربعمائة كر من الشعير . ومن الوَرِق[٥٧] ثلثمائة وخمسين الف درهم[٥٨] . وهي اقل مما ورد في قائمة (قدامة) التي قدرت في ضوء عبرة سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م ، حيث كان وارد منطقة الانبار لوحدها اثنا عشر الفا وثمانمائة كر حنطة وستة الاف واربعمائة كر شعير ، واربعمائة الف درهم[٥٩] .

وذكر (ياقوت) ان منطقة بادوريا الزراعية محسوبة على كورة نهر عيسى بن علي ، وانها تروى من هذا النهر الذي يأخذ مياهه من نهر الفرات قرب الانبار[٦٠]. فهي والحال هذه كانت تلحق اداريا بكورة الانبار[٦١] . وبذلك نستطيع أنْ نعد مواردها ضمن موارد كورة الانبار . وكان (ابن خرداذبة) قد ذكر أنَّ طسوج بادوريا انتجت اربعمائة وعشرين بيدراً . رفدت بيت المال بثلاثة الاف وخمسمائة كر حنطة ، والفي كر من الشعير . فضلا عن الفي الف من الورق[٦٢] . وذكر (قدامة) أن طسوج بادوريا رفدت بيت المال بمليوني درهم . وهذا المبلغ يشكل نسبة عشرة في المائة من موارد سواد العراق حسب ما جاء في القائمة التي اوردها قدامة بن جعفر على عبرة

---

(٥٧) الوَرِق : المال من الدراهم ، او الدراهم الفضية . (ينظر : ابن صماتي ، قوانين الدواوين ، ص٣١٠ .

(٥٨) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٨ .

(٥٩) قدامة ، الخراج ، ص١٦٣ .

(٦٠) ياقوت ، البلدان ، ج٢ ، ص ص٢٩ ــ ٣٠ .

(٦١) قدامة ، الخراج ، ص١٦١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٧٨ .

(٦٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٩ .

سنة ٢٠٤هـ/٨١٩ م[٦٣]. وانتجت عين التمر التي كانت تابعة للانبار حينذاك ثلثمائة بيدر . كان نصيب بيت المال ثلثمائة كر حنطة ، واربعمائة كر شعير ، وخمسة واربعين الف درهم [٦٤].وانتجت طسوج مسكن التي عدها (قدامة) من طسوج الانبار ، مائة وخمسين بيدراً . كانت حصة بيت المال ثلاثة الاف كر حنطة ، والفي كر من الشعير ، ومائة وخمسين ألف درهم نقدا[٦٥] . وذكرت موارد الانبار في الميزانية التي اعدها علي بن عيسى آل الجراح سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨ م ، حيث ذكر أن وارد الانبار وقطربل (١٩٨٣١٣ دينار)[٦٦] . وهذا يتضح ان موارد طسوج الانبار ــ العينية والنقدية ــ كانت كبيرة اذا ما قيست بطسوج أخرى من أقاليم الدولة ، وانها كانت تشكل نسبة عالية من موارد بيت المال .

ونرى من المفيد أنْ نذكر أنَّ النصوص اشارت بكثرة الى تعرض المحاصيل الزراعية احياناً الى بعض الافات الزراعية ، لا سيما الجراد الذي كان يأكل الغلال ويتلف الشجر والثمر ، الامر الذي يؤدي الى قلة الانتاج وغلاء أسعار مواد الطعام في الاسواق . ولم يكن للمزارعين من وسيلة فاعلة حينذاك في مكافحته غير إحداث أصوات ، كقرع الطبول والابواق ، أو جمعه في الليل . ومع ذلك فان اسراب الجراد كانت تلحق اضراراً كبيرة في المزروعات عامة . وقد اشارت النصوص الى حصول مثل ذلك ، نذكر منها على سبيل المثال

---

(٦٣) قدامة ، الخراج ، ص ص١٦٢ ــ ١٦٣ .

(٦٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٠ ، قدامة ، الخراج ، ص١٦٤ .

(٦٥) قدامة ، الخراج ، ص١٦١ .

(٦٦) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص١٩٣ .

لا الحصر ما حصل في سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م ، ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ، و ٣٤٧هـ / ٩٥٨م ، ٣٤٨هـ / ٩٥٩م ، و ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م وغيرها .[٦٧]

نظام الري :

يخترق نهر الفرات الجزء الاعلى من كورة الانبار في مجرى ضيق وعميق ، وتحف به الضفاف العالية . ويخترق النهر هذه المنطقة صخوراً مغطاة بترسبات غرينية وحصى تتجمع في بعض المناطق وسط المجرى مكونة جزر تظهر بوضوح في فصل الصيف وقد استغل بروز الصخور في المجرى على اساس انها ركائز للسدود الصغيرة الغاطسة في توليد المساقط المائية لتشغيل النواعير بقوة تيار الماء .[٦٨]

وعند مدينة الفلوجة يكون مستوى نهر الفرات اعلى من مستوى نهر دجلة ، ويكون اتجاه انحدار السهل الرسوبي فيما بين مدينة الفلوجة والديوانية من الغرب الى الشرق . وقد استغلت هذه الظاهرة في فتح جداول ري من الفرات لسقي الاراضي المحصورة بين الفرات ودجلة متخذة اتجاهاً جنوبياً شرقياً . وان هذا الانحدار جعل مياه الفرات تندفع بقوة لتصل خلال ساعات معدودة الى بزايزها .[٦٩]

والحق ان الاراضي الزراعية في كورة الانبار تعتمد كثيرا على مياه نهر الفرات الذي يعد شريان النشاط الزراعي في هذه

---

(٦٧) ينظر : ابن الجوزي ، المنظم ، ج٦ ، ص١٧٢ و ٣٣١ و ٣٧٧ و ٣٨٧ و ج٨ ، ص٢٩٧ .

ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٧٥ و ٣٥٦ و ج٩ ، ص٣١٢ .

(٦٨) سوسة ، وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية ، ج١ ، ص٣٥ .

(٦٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٦٠ .

المنطقة . وحتى يمكن الاستفادة من الاراضي الخصبة البعيدة عن مجرى النهر ، ولكي يتم توسيع الرقعة الزراعية ، عمل المسؤولون في الدولة على حفر انهار فرعية وجداول وترع وقنوات تأخذ مياهها من الفرات لتسقي المزارع والحقول البعيدة نسبيا عن مجرى النهر . وقد تحكمت طبيعة الارض وانحدارها نحو الشرق في توجه المسؤولين نحو الضفة اليسرى للنهر ، فشقوا الانهار والجداول والقنوات لهذا الغرض لتروي الاراضي الخصبة بحيث أن بعض هذه المشاريع الاروائية وصلت مياهها الى قرب نهر دجلة ، فسقت الاراضي الزراعية الممتدة الى شرق نهر الفرات حتى مدينة بغداد[٧٠] . وبلا ريب ، فان هذه المشاريع اصبحت مصدرا اساسيا لري مساحات واسعة من الاراضي الزراعية المنتجة ، وقيام مستوطنات سكانية وقرى على امتداد هذه المشاريع .[٧١]

طرق الري :

تروى المزارع والحقول والبساتين في كورة الانبار باساليب عدة ، يتحكم فيها الوضع الجغرافي للارض المراد سقيها . ويأتي اسلوب الري السيحي في مقدمة الانواع وذلك لسعة الاراضي الزراعية التي تسقى بهذا الاسلوب في كورة الانبار ، ولان هذا الاسلوب يكون

---

[٧٠] سهراب ، عجائب الاقاليم ، ص١٢٣ و ١٣١ . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٨٤ .

ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص١٧٥ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٧ .

[٧١] سهراب ، عجائب الاقاليم ، ص١٢٣ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٨٥ .

قليل الكلفة بعد انجازه ، ولا يتطلب من المزارع الا جهدا محدودا ، كما ان الدولة تسهم عادة في تمويله وادامته[٧٢] . الامر الذي يخفف العبء وبعض المتطلبات المالية عن كاهل المزارع . الا ان هذا الاسلوب لا يخلو من بعض المعوقات التي يأتي في مقدمتها احتمال انخفاض مناسيب المياه في مجرى نهر الفرات في بعض السنين ، مما يولد صعوبة في حصول بعض الانهر والجداول والترع التي تأخذ ماءها من الفرات على حصصها المائية[٧٣] . فضلا عن احتمال اغمار الاراضي الزراعية التي تسقى سيحا بمياه الفيضان في حالة وجود فيضان عال في سنة ما[٧٤] . وعادة يتركز النشاط الزراعي الذي يعتمد على اسلوب الري السيحي على زراعة محاصيل شتوية لتوفر المياه اللازمة في حوض نهر الفرات وقتئذ .

ويعد نهر عيسى اعظم مشروع سيحي ، ليس في كورة الانبار حسب ، وانما في جميع اقاليم الدولة العربية الاسلامية[٧٥] . ويرجع تاريخ حفر نهر عيسى الى ما قبل ميلاد السيد المسيح[٧٦] ، وقد نسب

---

(٧٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص٩٧ و ١١٨ . ابن آدم ، الخراج ، ص٦٣ . البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٢ . قدامة ، الخراج ، ص٢٤٨ .

(٧٣) سهراب ، عجائب الاقاليم، ص١٢١ . ابن حوقل، صورة الارض ، ص٢١٧.

(٧٤) ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٠٠ و ٣١٥ ــ٣١٦ و ٣٣٥ و ج٧ ، ص١٠٥ .

(٧٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج١ ، ص٩٢ ، ابو الفداء ، البلدان ، ص٥٢ .

(٧٦) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص٤٣ .

هذا النهر الى عيسى بن علي عم الخليفة المنصور ، لانه جدد حفـــره وكريه واصبح ذا جدوى اقتصادية كبيرة خلال العصر العباسي .[٧٧]

ومهما يكن من امر ، فان نهر عيسى كان واســـعا ، ومياهـــه كثيرة وغزيرة بحيث اصبح من الممكن ان تدخل فيه السفن التي تـــأتي من الرقة محملة بانواع السلع القادمة من بـــلاد الشـــام ومصـــر[٧٨] . ويتفرع نهر عيسى من الجانب الايسر لنهر الفـــرات جنـــوب مدينـــة الانبار ، وعند فوهته فنطرة (دمما)[٧٩] فيتجه شـــرقا ويقطـــع أرض الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات ، ويسقى هو وفروعـــه المـــزارع والحقول والبساتين الواقعة على جانبيه ، حتى اذا انتهى الى المحول[٨٠] تفرعت منه انهار أقل منه شأنا . وهذه الانهار تصل حتى مدينة بغداد ، وقسم منها يصب في نهر دجلة . ولا تزال آثار هـــذا النـــهر العظيـــم وبعض فروعه العديدة ماثلة للعيان .[٨١]

---

(٧٧) سوسة وجواد ، دليل خارطة بغداد ، ص ص ٦٣ ــ ٦٤ .

(٧٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص١٨ . الاصطخري ، المسالك والممـــالك ، ص٨٥ . ابن حوقل صورة ، ص٢١٧ .

(٧٩) دمما : قرية شمالي الفلوجة تقع على الفرات . (ينظر : يـــاقوت ، البلـــدان ، ج٢، ص٤٧١) .

(٨٠) المحول : بليدة كثيرة البساتين والفواكه والاسواق والمياه . (ينظر : يـــاقوت، البلدان ، ج٧ ، ص٤٠٠ ، مطبعة السعادة) .

(٨١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج١ ، ص١١٢ . الدينوري ، الاخبار الطـــوال ، ص٣٧٩ .

ويخرج من نهر عيسى فرع كان يعرف باسم (نهر الرفيل)[٨٢]، ثم سمي فيما بعد باسم نهر عيسى الصغير . وكانت الاراضي الزراعية الواقعة غرب بغداد تسقى من مياه هذا النهر الكبير وفروعه ومنها (نهر الصراة العظمى) و (نهر الصراة الصغرى)[٨٣] . ويتفرع من الضفة اليسرى لنهر الرفيل ــ في موضع يبعد نحوا من ميل تحت صدره ــ نهر يعرف بـ (نهر كرخايا) الذي يمتد بموازاة نهر الرفيل من الشمال مؤلفا شبكة من القنوات بين نهر الصراة ونهر الرفيل ، تسقى الاراضي الزراعية في تلك المنطقة ، والواقعة غربي بغداد .[٨٤]

وعلى مسافة ثلاثة فراسخ اسفل قرية (دمما) حفر مشروع اروائي آخر سمي (نهر صرصر) ، ويسير باتجاه الشرق مع ميل بسيط نحو الجنوب حتى يصل مدينة صرصر .[٨٥] ويسقى نهر صرصر الحقول والبساتين التي تحف به[٨٦] ، واخيرا يصب في نهر

---

(٨٢) نسبة الى اسم احد الدهاقين الذي اسلم على يد القائد سعد بن ابي وقاص .

(٨٣) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج١ ، ص١١٢ . الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص٨٤ .

(٨٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج١ ، ص٧٩ و ٩١ و ١١٢ ــ ١١٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص٤٤ . الشابشتي ، الديارات ، ص٢١ .

(٨٥) صرصر : مدينة واسعة تقع على نهر صرصر . (ينظر : ياقوت ، البلدان ، ج٣ ، ص٤٠١) .

(٨٦) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص٨٥ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٧ .

دجلة . وذكر(الاصطخرى) ان مياه نهر صرصر غزيرة بحيث من الممكن ان تجري فيه السفن النهرية . ومياه هذا النهر تسقي طسوج الفلوجة العليا التي تحف بها بساتين النخيل والحقول الممتدة العامرة .[٨٧]

وذكر البلاذري أن الدهاقين في الانبار قد سألوا القائد سعد بن ابي وقاص ان يحفر لهم نهرا عجز عن حفره الفرس ، فاوكل القائد سعد هذه المهمة الى سعيد بن عمرو بن حرام الذي جد في انجاز هذه المهمة الا انه اخفق في اتمامه لان تلا اعترض عملهم فتوقف العمل لحين تقلد الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق عام ٧٥هـ / ٦٩٤م، حيث اخذ على عاتقه اكمال هذا المشروع الاروائي الحيوي ، فانجزه .[٨٨]

وشقت قناة (بقة) من موضع يقع الى الجنوب الشرقي من هيت بحوالي كيلو مترين ، حيث تأخذ مياهها من الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وتسقي بساتين البق الغناء ، كما تروى حقولا ومزارع واسعة في تلك المنطقة[٨٩] . وقد شاهد (ألواموسيل) على بعد كيلو مترات قلائل من قصبة هيت ، بقايا آثار قناة اروائية ممتدة الى الغرب من نهر الفرات حتى كاظمة مما يلي البصرة ، لكن هذا المشروع الاروائي

---

(٨٧) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص٨٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٢١ . ابو الفداء ، البلدان ، ص ص ٥٢ ــ ٥٣ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٧ .

(٨٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٣ .

(٨٩) موسيل ، الفرات الاوسط ، ص٥٧٤ .

اهمل ولم يعد ينتفع به[٩٠] . ويمكننا ان نعد الاراضي الزراعية التي تروى من مياه العيون التي وجدت في عدة اماكن من كورة الانبار ، ضمن اسلوب الارواء السيحي .

وبجانب اسلوب الري السيحي الذي تناولناه تواً ، يوجد اسلوب الري بالواسطة ، أي بواسطة الالات الرافعة . وهذا الاسلوب يتميز عن الاول بكون الاراضي الزراعية التي تعتمد في ريها عليه تكون محدودة المساحة ، ولا يمكن سقيها سيحاً . كما أنَّ هذا الاسلوب يستدعي كلفة عالية ، وجهداً كبيراً ، وادامة مستمرة . وكل هذه الامور تقع على عاتق المزارع وحده[٩١] . فهي والحال هذه تثقل كاهله ، وتستنزف جهده . وفي الاعم الاغلب تكون الاراضي التي تروى بالواسطة مزروعة بالنخيل والاشجار المثمرة . ولعل النواعير المنتشرة على ضفتي نهر الفرات من شمال مدينة الانبار وحتى الرقة اوضح نموذج لاسلوب الري بالواسطة في كورة الانبار[٩٢] . واشار (سهراب) و (ابن حوقل) الى استخدام الالات الرافعة ، كالدوالي والدواليب على نهر صُرصر لسقي الاراضي الزراعية في حالة شحة المياه في هذا النهر[٩٣] وبلا ريب إن المزارعين في كورة الانبار وغيرها من اقاليم

---

(٩٠) م . م ، ص٥٦٤ . (ينظر : ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ص ١٠٧ــ ١٠٨) .

(٩١) ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٨٢ . الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص٣٢ .

(٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٢٨ .

(٩٣) سهراب ، عجائب الاقاليم ، ص١٢٤ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٧ .

الدولة العربية الاسلامية أيقنوا ان لكل نوع من المحاصيل الزراعية مقنناً مائياً محدداً خلال مدة انباته . وان ذلك له علاقة وطيدة بنوع المحصول وطبيعته ، وموسم زراعته ، وطول مدة نموه[٩٤] . ومع ذلك نتوقع حصول هدر في الاستعمال المائي ناتج من عدم الاكتراث والتحسب ابان عمليات السقي .

وتميزت كورة الانبار بوجود مساحات واسعة من الاراضي التي تصيبها كميات لا بأس بها من المطر سنوياً . وفي الاعم الاغلب ان هذه الكميات كافية لانبات الحشائش والاعشاب في الهضبة الغربية التابعة لكورة الانبار[٩٥] . وتكون هذه الاعشاب والحشائش مراعي جيدة لبعض الحيوانات ، وفي مقدمتها الاغنام والماعز والابل والخيول والحمير وقطعان الغزلان التي وجدت بكثرة حينذاك ، وقد امتهنت القبائل العربية القاطنة في هذه المنطقة حرفة تربية الحيوانات والاستفادة من منتوجاتها في اغراضها الحياتية المتعددة .[٩٦]

ووجدت في كورة الانبار وديان تنحدر من الهضبة الغربية ، على وفق طبيعة الانحدار العام لسطح ارض الهضبة . وتنتهي تلك الوديان بالجانب الايمن من مجرى نهر الفرات في قسمه الممتد من الرقة لغاية جنوب مدينة هيت ، باتجاه مجرى الفرات[٩٧] . وعلى الرغم من ضآلة مياه هذه الوديان نسبياً ، وان جريانها يتم في موسم سقوط

---

(٩٤) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ص٣٩ ــ ٤٠ .

(٩٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٠٠ و ٣١٥ .

(٩٦) ابن الجوزي ، المنظم ، ج٥ ، ص١٧٢ ، و ج٦ ، ص٢ و ٣٩ و ١١٥ و ٢٠٢ . و ج٢٧ ص١٣١ و ١٣٨ .

(٩٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٤٦ و ٢٩٣ .

المطر عادة ، الا ان لها تأثيراً واضحاً في حدوث غدران وقلت في بطون هذه الوديان ، اذ يمكن الاستفادة من مياهها لشرب الانسان والحيوانات التي يربيها ، فضلا عن اسهامها في انبات بعض الحشائش والشجيرات التي ترعاها الحيوانات . وبجانب آخر فان لهذه الوديان تأثيرات سيئة احيانا ، ذلك ان سيولها بغزارة يتوافق مع ذروة فيضان نهر الفرات ، مما يجعل حوض النهر لا يستوعب كميات المياه المتدفقة فيه ، الامر الذي يزيد من احتمال طغيان مياه النهر على الاراضي الزراعية المجاورة له ، واغراق القرى والبساتين والحقول واحداث شحة في الانتاج الزراعي[٩٨] ويكفي ان نشير الى فيضان عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م الذي بلغت زيادة مياه نهر الفرات فيه (احدى عشر ذراعا وانبثق بثق من نواحي الانبار فاجتاح القرى وغرق الناس والبهائم والسباع ، وصب الماء في الصراة الى بغداد ، ودخل الشوارع في الجانب الغربي من بغداد ، وغرق شارع باب الانبار فلم يبق فيه منزل الا وسقط ، وتساقطت الدور والابنية على الصراة ، وسقطت قنطرة الصراة الجديدة ، وبعض العتيقة)[٩٩]. وتكررت هذه الظاهرة الخطيرة سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م ، فكانت اسوأ من سابقتها بكثير .[١٠٠]

وعلى الرغم من ان فيضان نهر الفرات كثيراً ما يلحق ضرراً بالمحاصيل الزراعية الحقلية ، لانه يأتي فجأة وبكميات كبيرة من المياه ، بحيث لا يستوعبها حوض النهر فتهدد باغراق الاراضي

---

(٩٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٥٠ .

(٩٩) ن . م ، ج٦ ، ص٣٠٠ و ٣١٥ ــ ٣١٦ .

(١٠٠) ن . م ، ج٧ ، ص١٠٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٠٦ .

الزراعية القريبة من النهر . فضلا عن ان فيضان الفرات يأتي عادة في اواخر فصل الربيع واوائل فصل الصيف . فهو والحال هـذه لا يفيد كثيراً المزروعات الشتوية التي تكون حينئـذ فـي مرحلـة النضـج والحصاد ، او قريباً منهما . اما المحاصيل الصيفية فهي الاخـرى لا تستفيد من ميـاه الفيضان كثيراً لانها في بداية النمـو . الا ان الفيضان لا يخلو من فائدة ، اذ انه يسهم في زيادة الثروة السمكية ، فضلا عمـا تجلبه مياه الفيضان من الطمى . بقي ان نشير الى ان فيضانات نـهر الفرات كانت تحدث بثوقاً في سداد النهر بمنطقة الانبار ، وان سد تلـك البثوق كان يتطلب مبالغ كبيرة جداً .[١٠١]

واخيراً نستطيع ان نقول ان نظم الرى في كورة الانبار خـلال العصور الاسلامية كانت على جانب كبير من الدقة والاتقـان . فلقـد اقيمت منظومات للـري لضبـط ميـاه نـهر الفـرات ودرء خطـر الفيضان[١٠٢] . وان هذه المشاريع الاروائية ، فضلا عـن المقومـات الطبيعية المتوفرة في المنطقة ، هي التي شاركت في توسـيع مسـاحة الاراضي المستثمرة في الزراعة ، كما انها أثرت ايضـا فـي زيـادة الانتاجية الزراعية . الامر الذي يحدونا الى الاعتقاد بان هذه المنطقـة المزدهرة اقتصادياً ، وهذا الانتاج الوفير الذي وان لم تتمكن المصـادر التاريخية من حسابه كميا بدقة ، الا اننا لانعدم مـن وجـود ايمـاءات

---

(١٠١) ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٠٠ .

ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٢٨ .

(١٠٢) سوسة ، ري العراق القديم ، ص١٣٤ .

وشذرات تلمح الى مقدار حجمه في بعض السنين[١٠٣] . ممـــا يجعلنـــا نعتقد انه انتاج وافر ، وانه كان يفيض عن حاجة سكان المنطقـــة[١٠٤] . ثم ان المساحات الزراعية الواســـعة ، والانـــهر والجـــداول والـــترع والقنوات الكثيرة ، وبناء السدود والقناطر ، واعمـــال درء الفيضـــان ، وكرى الانهر وتطهيرها كل هذه الامور تتطلب أيادي زراعية كبـــيرة العدد للاضطلاع بها .

الثـــروة الحيوانيـــة :

للثروة الحيوانية علاقة وطيدة بالزراعة والنشاط الزراعـــي . اذ لا يمكن الحصول على ثروة حيوانية ذات قيمة جيدة في بلـــد مـــا دون وجود نشاط زراعي مزدهر في هذا البلد . قال (ابن خلدون) (فـــان الزرع هي الاقوات)[١٠٥]. ومن حسن طالع سكان كورة الانبـــار ان ازدهر فيها النشاط الزراعي ، فضلا عن وجـــود مســـاحات خضـــراء واسعة فيها انواع الشجيرات الصغيرة والحشائش والاعشاب التي كانت تكسو جُلَّ سطح الهضبة الغربية في اواخر فصل الشتاء ، وخلال فصل الربيع ، وبداية فصل الصيف ، وحتى خلال فصـــل الصيـــف كـــانت قطعان الاغنام والماشية ترعى الاعشاب والحشائش الجافة التـــي هـــي بقايا تلك المساحات الخضراء التي ازدهرت في فصل الربيع .

---

(١٠٣) ينظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممـــالك ، ص٨ و ٩ و ١٠ . قدامـــة ، الخراج ، ص١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ .

(١٠٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٥ . الطـــبري ، تـــاريخ الرســـل ، ج١ ، ص٦١١ .

ياقوت ، البلدان ، ج١ ، ص٣٦٨ .

(١٠٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٤٨ .

وتأتي الاغنام والماعز في مقدمة الحيوانات التي كانت تربى في كورة الانبار والتي يستفاد من لحومها وصوفها ، او شعرها ، وجلودها وحليبها ومشتقات الحليب . وبعدها يأتي الابل التي هي الاخرى يستفاد من لحومها ووبرها وجلودها وحليبها ، فضلا عن امكانية الاستفادة منها ، هي والخيول والحمير ، في الركوب والنقل وبعض الاستعمالات اليومية الاخرى . ونستطيع أن ندرك الفائدة الكبيرة التي يمكن ان يحصل عليها الذين يربون هذه الحيوانات من قول (ابن خلدون) : (... لابد له من دوجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب)[١٠٦]. واخيراً ان اهم ما يمكن ان نشير اليه بشأن ملكية الاراضي الزراعية ونظام الري في كورة الانبار ، هو ان المسؤولين في الدولة العربية الاسلامية كانوا قد حسموا منذ وقت مبكر مسألة ملكية الاراضي الزراعية المحررة عنوة وحرباً ، حيث عدوا رقبة ملكيتها للامة . وان الاراضي التي انضوت تحت لواء الدولة سلماً ظل ملاكها السابقون حق الحيازة والانتفاع . كما أن المسؤولين في الدولة قاموا باحياء واستصلاح اراضي جديدة ، كما انهم انشؤوا مشاريع ري جديدة ، وعملوا على ادامة مشاريع الري القديمة فحصلت حركة دؤوبة ونشطة في هذا الاتجاه ، حيث حفرت الانهار ، وشقت القنوات والجداول والترع ، وسدت البثوق ، وشيدت القناطر والمسنيات لتأمين المياه الضرورية للمزارع ولحمايتها من اخطار الفيضان ، فازدهر النشاط الزراعي في كورة الانبار وحصلت زيادة واضحة في الانتاج قطف سكان المنطقة ثمارها .

---

(١٠٦) ن . م .

أهم المصادر والمراجع

ابن الاثير ــ علي بن أبي الكرم بن محمد (ت٦٣٠هـ) .

الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٩٦٧).

ابن آدم ــ يحيى القرشي (ت ٢٠٣ هـ) .

كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت:١٩٧٩).

ابن بصال ــ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطلي

كتاب الفلاحة ، مطبعة كريما ديس تطوان ،(المغرب :١٩٥٥).

ابن بطوطة ــ محمد بن عبد الله بن ابراهيم الطنجي (ت ٧٧٩هـ) .

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، مطبعة وادي النيل (القاهرة ، ١٢٨٧هـ) .

ابن الجوزي ــ عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٥٧هـ).

ابن حجاج الاشبيلي ــ احمد بن محمد (ألف الكتاب سنة ٤٦٤هـ) .

المقنع في الفلاحة، منشورات مجمع اللغة العربية،(الاردن:١٩٨٢).

ابن حوقل ــ أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ) .

صورة الارض ، منشورات مكتبة الحياة ، مطبعة بيبان وشركاه (بيروت بلا) .

ابن خرداذبة ــ ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ) .

المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٨٩) .

ابن خلدون ــ عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) .

مقدمة ابن خلدون ، طبعة بالاوفسيت ، مكتبة المثنى (بغداد بلا) .

ابن خياط ــ خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) .

تاريخ خليفة بن خياط ، مطبعة الادب (النجف : ١٩٦٧) .

ابن رستة ــ احمد بن عمر (ت ٣١٠هـ) .

الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل (ليدن : ١٨٩١م) .

ابن زنجويه ــ حميد بن زنجويه (ت٢٥١هـ) .

كتاب الاموال ، مطبعة بساط ، (بيروت : ١٩٨٦) .
ابن الفقيه الهمذاني ــ احمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ) .
بغداد مدينة السلام ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (باريس : ١٩٧٧) .
ابن صمائل ــ اسعد بن المهذب (ت٦٠٦هـ) .
كتاب قوانين الدواوين ، مطبعة مصر ، (القاهرة ١٩٤٣) .
ابن منظور ــ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) .
لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت ١٩٥٦) .
ابو عبيد ــ القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) .
كتاب الاموال ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٨٦) .
ابو الفداء ــ عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ) .
تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس : ١٨٤٠) .
ابو يوسف ــ يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ) .
كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ،(بيروت ١٩٧٩) .
الادريسي ــ ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (ت ٥٦٠هـ) .
نزهة المشتاق ، تحقيق الدكتور ابراهيم شركة ، دار اليمامة ، (الرياض : ١٩٧١) .
الاصطخري ــ ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ) .
المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٩٢٧) .
البلاذري ــ احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) .
فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات ، (مصر ١٩٠١) .
الثعالبي ــ عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) .
لطائف المعارف ، دار احياء الكتب العربية ، (مصر: ١٩٦٠).
الخطيب البغدادي ــ ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) .
تاريخ بغداد او مدينة السلام ، مطبعة السعادة ،(القاهرة : ١٩٣١) .
الدوري ــ عبد العزيز (الدكتور) .

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف (بغداد : ١٩٤٨) .

الدينوري ــ احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) .

الاخبار الطوال ، مطبعة بريل ، (ليدن ١٨٨٨) .

سوسة ــ احمد سو (الدكتور) .

وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية ، مطبعة الحكومة (بغداد ١٩٤٤) .

سهراب ــ (توفي سنة ٣٣٤هـ) .

عجائب الاقاليم السبعة ، مطبعة آرولف هولز هوزن ، (فينا ١٩٢٩).

الصابي ــ الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ) .

كتاب الوزراء ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، (بيروت ١٩٠٤).

الطبري ــ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) .

تاريخ الرسل والملوك ، مطابع دار المعارف (القاهرة :١٩٦٦).

قدامة ــ ابن جعفر الكاتب (ت٣٣٧هـ) .

الخراج وصناعة الكتابة ، دار الحرية للطباعة ،(بغداد:١٩٨١).

الماوردي ــ ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) .

الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٧٨) .

المقدسي ــ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٣٨٧هـ) .

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل (ليدن : ١٩٠٦) .

هنتز ــ فالتر .

المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي(عمان : ١٩٧٠).

ياقوت ــ ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) .

معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت (بيروت ١٩٥٧) .

اليعقوبي ــ احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ) .

ــ البلدان ، المطبعة الحيدرية ، (النجف ١٩٥٧) .

ــ تاريخ اليعقوبي ، منشورات المكتبة الحيدرية ،(النجف : ١٩٦٤).